بسمِ اللهِ الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله والصَّلاةُ والسَّلام على رسول الله، وعلى آله وصَحبهِ، ومن ولآهُ أمَّا بعد..

نواصل الحديث في الدّرس الثاني في شرح الأصول الثلاثة، وتوقفنا في الدّرسِ الماضي عند قول الإمام الشّافعي رحمه الله تعالى:" لو مَا أَنزلَ اللهُ حجةً على خلقهِ إلا هذهِ السّورة لكفتهم".

بعد الحديث عن سُورة العصر، وتكلمنا فيما مضى عن تفسير هذه السّورة أو بيان بعض ما جاء في هذه السّورة من إشارات؛ حيثُ بيَّن اللهُ - عز وجل - وأَقسمَ بالعَصر، وهوَ الدّهر وعلى أن الإنسان أو جِنس الإنسان في خسارةٍ ثُم بيّنَ النَّاجي من هذه الخسارة وهم أربعةُ أصناف:-

الأول منهم: الَّذينَ ءامنواْ. الثاني: عملوا الصَّالِحات. الثالث: تواصواْ بالحق. الرابع: تواصواْ بالصَّبر، وبعدَ ذِلكَ أَوردَ المصنف - رحمه الله تعالى - قول الإمام الشَّافِعيّ رحمهُ اللهُ تعالى في قوله:" لو مَا أَنزلَ اللهُ حجةً على خلقهِ إلّا هذهِ السورة لكفتهم ".

لماذا هذه السورة تكفيهم؟ أيّ وعظًا، وزجرًا، وبيانًا، أي للبصيرِ الذي يُبصر، ويعلم؛ أنه إن لم يقم بالأعمال الأربعة المذكورة فيها كان في خسارةٍ وبالٍ.

فالخَسارة كلَّ الخَسارة أن يُحرمَ الإنسان من كلِ الوَّصايا الموجودة في سورة العصر " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ".

ثمَ قال المصنف - رحمه الله تعالى - وقال البخاري - رحمه الله -:" بابٌ العلم قبل القول والعمل ".

قول البخاري - رحمه الله تعالى- بابٌ العلمُ قبل القولِ والعمل أي أنَّ العمل يحتاجُ إلى علم، والقولُ يحتاجُ إلى علمٍ؛ فالعلم مقدمٌ على القولِ والعملِ؛ فلا تقل ما ليسَ لكَ به علم، ولا تعمل إلّا بعلم فالعلمُ مقدم، ويجبُ تقديم العلم على القولِ والعملِ؛ والدليل على هذا قول الله تعالى:" فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ".؛ لذلكَ الاستغفار جاء بعد العلم، فبدأ بالعلم قبل القولِ والعمل فهذه الترجمة التي أوردها البخاري - رحمه الله تعالى - في بيانِ أهميةِ العلم، وأن الإنسانَ لا يقولُ قولًا إلا بعلمٍ ولا يعملُ عملًا إلا بعلمٍ واستند إلى قول الله - جل وعلا - "فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ ". فبدأَ بالعلمِ قبل القولِ والعمل، وهذه البداية التي تَدلُ على وجوبِ البداءة بالعلم أي يجب البداءة بالعلمِ قبل القولِ والعملِ؛ وذلكَ أن الإنسان يعلم أولًا، ثُمَ يعملَ ويعلم أَولًا، ثُمَ يقولُ؛ فلَا يمكن أن يكون الإنسان أن يقولَ قولًا أو يعملَ عملًا وهوَ لا يعلم به؛ وهذا السّبب الذي أوقع كثير من النّاس أو بعض النّاس في الانحرافات العقدية خصوصًا في القَضايا البدّعية؛ فهم يعملون دون علمٍ باللهِ، و بما جَاءَ عن الله، ثم انتقلَ المصنف - رحمه الله تعالى - إلى القسمِ الأخر قال:" اعلم رحمك الله أنه يجبُ على كلِ مسلمٍ ومسلمةٍ تعلم ثلاث هذه المسائل، والعمل بهنَّ" ما هي هذه المسائل التي يجب على كل مسلم، ومسلمة تعلمها؟

الأولى: أن الله - جلَ وعلا - خلقنا ورزقنا وهذا الأمر الذي يبينه شيخُ الإسلام - رحمهُ اللهُ تعالى - خيرَ بيانٍ هو يشيرُ إلى أن هذه من الوَّاجِبات الضّرورية على الإنسان أن الله خلقنا، ورزقنا قضية الخلق، وقضية الرّزق؛ وهذا يسمى بتوحيد الربوبية، وكَما تعلمون أن التوحيد ينقسم إلى ثلاثة أقسام:-

القسم الأول: توحيد الربوبية.

القسم الثاني: توحيد الألوهية.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصّفات.

وتوحيد الرُّبوبية: هو توحيد الله -سبحانه وتعالى - بأفعالهِ كيف بأفعال الله؟ يعني الأفعال التي يقومُ بها الله أو يفعلها الله - جل وعلا - مثل: الخلق، والرّزق، والإحياءِ، والإماتة، والملك، والتدبير، والقضاء، كل ذلك من أفعالِ اللهِ فهذه الأَفعال التي يفعلها الله هذه دلالة على ربوبيته - جل وعلا - ولذلك الله - سبحانه وتعالى - قال:" أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ". هذا أيضًا يدلُ على ربوبية الله - جل وعلا - وتوحيد الربوبية لم ينكره إلا قليل، ولا ينكره إلا المكابر؛ لأن توحيد الرّبوبية اعترفت فيه كفار قريش ويعترف فيه كثيرٌ من المشركين؛ لكن الله - جل وعلا - في كتابه يقول:" قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ قُلِ اللَّهِ.. ".، " قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ". إذًا هم يعترفون بأن الله هو الخالق، بأن الله هو الرَّازق، بأن الله هو المُحيي، بأن الله هو المُميت؛ لكن توحيد الربوبية لا يُغني عن توحيد الأُلوهية؛ ولذلك لا يُنجي من عذاب النار توحيد الربوبية لا يُنجي من عذاب النار؛ لأنه لا بُدَّ من توحيد الأُلوهية فإذًا المسألة الأولى: أنَّ اللهَ خلقنا، ورزقنا والرّزق قول الله - جل وعلا -:" إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ". فاللهُ خلقَ الخلقَ، ورزقهم قال: ولم يتركنا هملًا بل أرسل إلينا رسولًا.

فهذا أمرٌ قد أقام الله - عزوجل - الحُجة به على خلقهِ بإرسالِ الرُّسل؛ ولذلك أَرسلَ اللهُ - عز وجل - إلى هذه الأمة النبي ﷺ؛ ليتلو عليهم الآيات، ويبين لهم الكتاب، ويبين لهم الحِكمة، ويهديهم سواءَ السَّبيل؛ فهذا المقصود منه أنَّ الله - عز وجل - لم يترك النَّاس هملًا؛ بل أَرسلَ الرُّسل، ؟وأنزلَ الكُتب، وجاءَت البيّنات، والنُّذر، وكلُ ذلكَ دالٌ على وحدانية الله - عزوجل - ولابُد أَن يرسلَ الله - سبحانه وتعالى - الرُّسلَ إلى الخلق؛ لتقومَ عليهم الحُجة؛ ليعبدوا الله بما يحبه الله ويرضاه، فمن أطاعهُ دَخلَ الجنة. أطاع من؟ أطاع النبي ﷺ؛ لأن طاعة النبي ﷺ هي طاعة لله.. لماذا؟ لأن اللهَ قال:" وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ".

وقال تعالى:" وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ".
وقال تعالى أيضًا:" وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ".
والآيات في هذا الباب كثيرة معلومة؛ ولكن أيضًا منها قول الله تعالى:" وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ". وقوله تعالى:" وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ".

وقوله تعالى:" ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه ....
هذه الآيات تُبين أن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله -جل وعلا- فمن أطاعه دخلَ الجنة، وعلى هذا ومن عصاه دخلَ النار؛ فطاعة النبي ﷺ مقرونة بطاعة الله -جل وعلا- ولذلك الرُكن الأول من اركان الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسولُ الله -" طاعة الرسول بما أمر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يُعبد الله-جل وعلا- إلا بما شرع "- فمن أطاعه دخلَ الجنة، ومن عصاه دخلَ النار لأنه خالف أمر الله -جل وعلا- قال المُصنف رحمه الله " ومن عصاهُ دخلَ النار والدليل على ذلك قول الله -جل وعلا- إنا أرسلنا إليكم رسولًا شاهدًا عليكم كما ..... فعصى .....". إذًا الشاهد من هذه الآية أي يا كفار قريش أرسلنا إليكم رسولًا شاهدًا عليكم كما أرسلنا موسى -عليه السَّلام- إلى فرعون كما أرسلنا إلى فرعون رسولًا.. فرعون ماذا فعل؟ فعصى فرعون الرسول، فإن النتيجة فأخذنه أخذًا وبيلًا إذًا هذا الأمر الأول أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملًا؛ بل أرسلَ إلينا رسولًا من أطاعه دخلَ الجنة، ومن عصاهُ دخلَ النار.
الأصلُ الثاني: أنَّ اللهَ لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته لا ملكٌ مقرب، ولا نبيٌ مُرسل والدليل قوله تعالى:" وأن المساجد .....".
إذًا المسألة تُشيرُ إلى توحيد الربوبية، والمسألة الثانية تُشير إلى توحيد الألوهية؛ لأن المُصنف رحمه الله تعالى قال أن اللهَ لا يرضى أن يُشرك معه أحدٌ في عبادته؛ بما أننا قد قولنا إن توحيد الربوبية هو توحيد الله أو إفراد الله بأفعاله كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة، والتدبير، والقضاء وغيره..
هنا توحيد الألوهية ما معناه؟ هو إفرادُ الله -جل وعلا- بأفعال العباد يعني بالفعل الذي يقوم به العبد من العبادات لا يُصرف إلا لله؛ ولذلك قال أن الله لا يرضى أن يُشركَ معه أحدٌ في عبادته، العبادة ما هي؟ هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله -جل وعلا- ويرضاه من الأقوال، والأعمال الظاهرة والباطنة؛ إذا كانت العبادة التي نصَّ عليها الشرع فلّا يجوز للإنسان أن يصرفها لغير الله لا لملكٍ مقرب، ولا لنبيٍ مُرسل، وهذا فيه إيضاح مهمٌ جدًا وهو أن أولئك المشركين الذين أشركواْ مع الله غيره وجعلواْ لله -جل وعلا- ندًا إما بدعاء الأموات، أو بالطّوافِ على الأضرحة والقبور، أو بدعاء الصَّالحين والأولياء؛ فكل ذلك لا ينفعُ شيئًا وإنما العبادة لا تُصرف إلا لله -جل وعلا- هذا التوحيد وهو توحيد الألوهية لا شك أنه هو الذي خالف فيه المشركون النبي ﷺ، ومن أجله حارب النبي ﷺ، ومن أجلِّ هذا التوحيد أرسلَ الله تعالى الرُسل، وأنزل الكتب، ومن أجله جاءت الرُسل بشهادة أن لا إله إلا الله قال الله تعالى:" وأن المساجد لله فلا تدعُ مع الله أحدًا".
فالمسألة الثانية مما يجبُ علينا علمه أن الله -جل وعلا- لا يجبُ أن يُشرك معه في عبادته أحد؛ والمستحق للعبادة الله -جل وعلا- وحده لا شريك له فهو المستحق للعبادة لا يرضى أن يُشرك معه في عبادته أحد والدليل كما ذكر المؤلف رحمه الله تعالى قول الله تعالى:" وأن المساجد لله فلا تدعُ مع الله أحدًا".
نهى الله -جل وعلا- أن يدعو الإنسان مع الله أحدًا، لأن الدُّعاء عبادة، والعبادة لا تُصرفُ إلا لله -جل وعلا- هذه المسألة الثانية والله -جل وعلا- لا ينهى عن شيءٍ إلا وهو لا يرضى هذا الشيء فنهى عنه -سبحانه وتعالى- أو نهى عن هذا الشيء لأن الله لا يحبه ولا يرضاه وهي من المسائل المهمة مسألة توحيد الألوهية والحرص على البعد عن الشرك وبيان أن الشرك لا يغفره -جل وعلا- وهو أكبر الكبائر، وأن الله -جل وعلا- لا يرضى الشرك فالعبادة تصرف لله-جل وعلا- لا يُذبحُ إلا لله، ولا يدعى إلا الله -جل وعلا-، ولا يُستعان ولا يُستغاثُ فيما لا يقدر عليه إلا الله فلا يكون ذلك إلا لله -جل وعلا-؛ فأعبادة لا تصرف إلا لله -جل وعلا-.
المسألة الثالثة: قال أمن من أطاع الرَّسول ووحد الله لا يجوز له مولاة من حادَّ الله ورسوله؛ ولو كان أقرب قريب، حادَّ الله ورسوله يعني: عادى الله ورسوله وهذا فيه بيان الولاء والبراء فسه بيان مما يجب علينا علمه في الولاء والبراء؛ نوالي المؤمنين ونبرأ من الكفرين، نوالي أهل التوحيد، ونبرأ من أهل الشرك والبدعة، نوالي أهل الإيمان، ونبرأ من أهل الفسوق والعصيان؛ والله -جل وعلا- قال:" لا تجدُ قومًا يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آبائهم أو أبنائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنت تجري الأنهار خالدين فيها رضى الله ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون". أولئك حزب الله: أي الذين جاءواْ في هذا الباب من الولاء والبراء هم حزب الله، وحزب الله لا شك أنهم هم المفلحون. فالمسألة الثالثة هي على موضوع الولاء والبراء ومن حاد الله ورسوله يتبرأ منهم المؤمنون ومن حارب الله ورسوله يتبرأ منهم المؤمنون، ومن أشرك مع الله يتبرأ المؤمنون؛ والمولاة لا شك أن من حاد الله، وحاد الرسول، وحارب الله، وحارب الرسول، أو حارب ما جاء في كتاب الله وما جاء به النبي ﷺ بالتكذيب والإعراض فإنه مُحَادٌّ لله -جل وعلا- هذه الأصول الثلاثة التي أوردها المصنف رحمه الله تعالى بين فيها ان الأصل الأول أن الله خلقنا ورزقنا

وأرسل إلينا رسولا فمن أطاعه دخل الجنه ولم يتركنا هملا وهذا يشير إلى أمر مهم وهو توحيد الربوبية، والثاني يشير إلى أمرٍ مهم أن الله لا يرضى أن يشرك معه غيره في عبادته وهذا يشير إلى توحيد الألوهية، والثالث يشير إلى أمر مهم وهو الولاء والبراء.

نسأل الله التوفيق والسداد، و ﷺ.